

## الحالة المصرية

د. محمد سامح سعيد

أستاذ بكلية الهندسة - جامعة القاهرة

=====

ما أشبه الحالة المصرية الآن بحالة تبريد لدرجة التجميد Deep Freeze . فلم يعد هناك على المستوى الفردى على الأقل قضية تشغل الرأي العام ولا الاهتمام الشخصى No Interest ، لا قضية سياسية ولا قضية فكرية أو إعلامية . فالكل منشغل بذاته ، بلقمة العيش ، بأولاده فى المدارس ، فى تدبير الاحتياجات فى مواجهة الغلاء . بالنسبة للمصرى العادى فإن السياسة ترف لا يهمله فى شىء . اهتماماته الوحيدة إن وجدت تنحصر فى الكرة والمسلسلات والأغانى والمحمول ومسابقاته . صحيح قال الرئيس مبارك الشعوب تريد أن تعيش ولكن هل هذه طريقة عيش ؟ أين العمل والإنتاج والسعى فى العلم والتقدم والتطور ؟ أين الحماس والدافع والمبادأة ؟ الكل قابع فى استسلام غريب ومن يبدى الحماس يكون مثار استغراب بل وسخرية . الأمور تسير بالقصور الذاتى أى تسير وحدها لا قوة دافعة تحركها ولا أفكار مضيئة تثير الطريق فى حياة الفرد كما لو كانت هناك آلة ضخمة نفذ منها الوقود فمازالت تتحرك تروسها ولكن بالقصور الذاتى . وحتما سنتوقف إذا سار الأمر على هذا المنوال . ما الذى حدث فى الشخصية المصرية ؟ كما لو كان هناك شىء فى الهواء نستنشقه فيصينا بالتراخى والارتياح . انطفأت جذوة الطموح والرغبة . وهذا أخطر ما يصيب الإنسان . الكل ينتظر أن تمطر السماء ذهبا وفضة وهذا لن يحدث . والغريب أن العالم المتقدم يلهث نحو مزيد من التقدم . وكثير من الدول حولنا تجد وتجتهد لتلحق . والصين تقفز بخطوات جبارة لتصبح القوة العظمى المنافسة . ونحن نتفرج وكــــأن الأمــــر كــــلــــه لا يعنينا . وإذا تحمسنا لشيء فلقضايا ثانوية جدا أو ندخل فى جدال بيزنطى لا يقدم ولا يؤخر . نضيع الوقت والجهد والطاقة والمحصلة لا شىء . صحيح هناك بعض الإنجازات على عدد من الأصعدة ولكن أين الإنتاج الذى نغزو به أسواق العالم ؟ أين الجودة التى تنافس بها الآخرين ؟ أين موقعنا على خريطة العالم فى العلم والتقدم التكنولوجى ؟ فيم نتميز عن غيرنا ؟ أين نحن ؟ ولماذا أصبحنا هكذا ؟ مللت من تكرار أن الله حباننا بقدرات هائلة فى الذكاء والإبداع ولكن كل شىء مجمد . والعقل غائب غير مدرك لقدراته .

والعضلات مسترخية والجسم وهن لا يريد أن يهيم بالنهضة والكلام لا يجدى . متى يفيق المصريون ؟ هل لابد أن يحدث تهديد خارجي ليفيقوا ؟ هم يتصورون أنهم فى أمان وأن السلام مضمون لهم فاستراحوا . هل لابد أن يكون التهديد تهديدا عسكريا ؟ ألا يوجد تهديد رهيب محقق بنا ولا نلتفت إليه ؟ تهديد لاقتصادنا الذى يختنق فى إطار المنافسة العالمية واضمحلال الصناعة الوطنية . ألا يوجد تهديد لنا فى محاولة طمس الهوية والوطنية والثقافة والتراث ؟ ألا يوجد تهديد لنا فى السموم المخدرة والآخذة فى الإنتشار وخاصة بين شبابنا بل وأطفالنا ؟ ألا يوجد تهديد لنا فى التلوث الذى يلاحقنا فى الماء والغذاء ؟ ألا يوجد تهديد لنا فى محاولات زرع الفتنة المستمرة ؟ ألا يوجد تهديد لنا فى الإساءة للدين سواء بإذكاء النعرات المبنية على الجهل والسطحية والتعصب والذى يصل أحيانا إلى الغلو والتشدد وتكفير الآخر بغير وجه حق أو بتقليص الدين إلى طقوس وعبادات خالية من الروح وترك الجانب الأخلاقى الذى يتسامى بالإنسان إلى مكارم الأخلاق أو بإهمال الحث على العلم والعمل والسعى الذى يطالبنا به الدين ؟ ألا يوجد تهديد لنا فى ترك الشباب عاطلا بلا أمل ولا عمل ولا مسكن ولا زواج ؟ الحالة المصرية غير طبيعية كما لو كان هناك انفصام بين الفرد والدولة . باستثناء قلة قليلة فإن الأغلبية غير مشاركة ، غير مهتمة ، غير متحمسة ، غير منتجة . أصبح الشعب عبئا على الدولة بدل أن يكون رصيذا للتقدم . والغريب أن دولا مثل الهند والصين حولت هذا العبء البشرى إلى قوة منتجة حققت لها مكانا مرموقا بين الأمم . الفرد عندنا فى حالة خصام مع المجتمع . فالشباب لا يرى أفقا ولا أملا والمجتمع لا يرى فى الفرد إضافة حقيقية لازدهاره . وتعطل الاتصال بين الفريقين يحتاج إلى حل ابتكارى لقطع الحلقة المفرغة . والوسيط القادر على الحل هو الدولة . عليها أن توفر الأمل والأمان للشباب وتتنظر إليه كطاقة إنتاجية واعدة وعليها أن توفر للمجتمع فرص الاستفادة منه فى عملية التنمية والنهضة الشاملة بدعم برامج التعليم والتدريب والإعداد المناسب أكثر بكثير مما قد يحدث الآن . لابد أن نضع الأمل والهدف والمبادأة . هذا هو الطريق الوحيد للخروج من الحالة الراهنة ليعود الدفاء ونبض الحياة إلى الجسد المجمد ويبدب النشاط فى العزيمة الكامنة والكائنة فيه .